عينة للذين يؤمنون .. وبرهان للذين يشكون

للأستاذ محمد قلبي

نشرت صحيفة « الصباح » بتونس المقال الآتي حول نشاط المكتب الدائم وهو مقال غمر مكتبنا بما لا يستحقه من تنويه :

لم اتخلص الى حد الآن من التأثير البالغ الذي تركه في نفسي الاطلاع على المجلد التاسع لمجلة « اللسان العربي » التي يعدها ويصدرها « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي » لم اتخلص من ذلك التأثير ولا أظن انني سأتخلص منه في يوم من الايام ... شد ما تأثرت !

اعرف كثيري من الناس ان الدول العربية احدثت مكتبا للاشراف على حركة التعريب بالعالم العربي ، وسمعت كثيري عن اخبار هذا المكتب وعن منشوراته ومعاجمه ودراساته ومشاريعه ، بل انني منذ بضعة اشهر اجريت « للصباح » حديثا مع السيد عبد العزيز بنعبد الله مدير المكتب اثناء زيارة قام بها الى تونس ، فقال لي الخير الكثير ـ بكل تواضع ـ عن اعمال مكتبه ، فصدقت ولكنني لم اتأثر .. حتى اطلعت ! لانني فقدت الثقة بصفة عامة بالتنويه الذاتي .. خاصة في بلداننا « العاطفية » .

ومنذ ايام حمل لي البريد طردا ثقيلا يزن حوالي كيلو غرامين أو اكثر .. فوجئت به لانني لاول مرة أرى شكل عمل مكتب تنسيق التعريب ولونه واتفحص مضمونه ، وبعد القاء النظرة الاولى لم أتمالك من القيام بجولة عبر مكاتب الزملاء بالجريدة لأطلعهم على « التحفة » التي نزلت علي من السماء وشاطروني تأثري واعجابي .

معذرة لدى الذين يؤمنون بضرورة « الموضوعية الباردة » في كل الامور والظروف ، ان انا ابديت حماسا قد يبدو لهم عاطفيا اكثر منه عقلانيا ، لكنني بعد الاعتذار لن اطفيء نار تحمسي وعاطفتي فمن الامور من لا يلين الا بالنار الحامية .. كالحديد ! وقضية التعريب ، مثل كل القضايا الروحانية السامية ، تجف كالهيكل الجامد ، ان لم ينفخ فيها العربي من روحه .

كنت اومن كثيري من انصار هذه القضية بأن التعريب ضرورة ممكنة .. لكنني كنت اشك في وجود اناس قادرين على القيام بالعمل الشاق الطويل النفس الذي يشترطه انجاز مثل هذا المشروع الضخم ، اذ لا يكفي ان نريد .. ولا بد من أن نستطيع وكان وما يزال انصار « اللاتعريب » يتكئون على هذا الخلل الظاهري بين ارادتنا وقدرتنا ليطلقوا قهقهاتهم عالية .. قبيحة ! وكان ينقصنا البرهان لنطمس ضحكاتهم ونبطل تصوراتهم .

قلت كان ينقصنا « البرهان » لكن ليست تلك الحقيقة وانما اقتصر الحظ على اعطائه لاقلية قليلة منتشرة في انحاء العالم العربي كله .

الدراسات والابحاث والمعاجم التي أصدرها الى حد الان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ـ والتي اطلعت على عينة واحدة منها ـ تشكل برهانا قاطعا لا فقط على قدرة اللغة العربية على مسايرة العصر وانما ايضا على قدرة محبيها الاوفياء لها على الحاقها بركب اللغات المتقدمة الاخرى لا شيء يقف دون التعريب ان وقفت له الكفاءات وتضافرت في كل البلدان العربية لا العبارات التقنية المعقدة ولا المعاني الجديدة المجردة .

يحتوي الجزء الثاني وحده ـ لأن المجلد التاسع للمجلة صدر في جزئين ـ على قرابة 700 صفحة فهو يشمل معجما ضافيا حول اسماء الملابس عند العرب

واخرى حول الغابات والتقنية الحراجية واستخدام منتجاتها وعلم الاحراج والقطل والحراثة والنقل والهندسة الحراجية والاضرار لملحقة بالغابات ووقايتها الخ ..

ويحتوي معجما ثانيا خاصا بالطيران المدني (50 صفحة) ومعجم مصطلحات المؤتمرات ومعجم المصطلحات السلكية واللاسلكية ، ومعجم المصطلحات الكهربائية الالكترونية والمصطلحات الاعلامية ومعجم المعاني للعظام والدم ومعجم الحشرات .

كما يحتوي هذا الجزء الثاني على دراسات حول المصطلحات العلمية وتطور اللغة ، ونظام التصنيف العشري لاكسفورد ومقال حول تفصيح العامية في الوطن العربي .

واما الجزء الاول من المجلد التاسع لمجلة « اللسان العربي » فقد خصص لنشر دراسات مختلفة عديدة حول اللغة العربية والتعريب ، واذكر من بينها دراسات لغوية حول معركة العربية في الجزائر ، والعوامل الطارئة على اللغة والاضداد في اللغة ، والكاف التمثيلية ومعاجم الابنية في اللغة العربية وتاريخ المعجم العسكري وتشمل الابحاث المختلفة مقالات تتعلق بالاصالة والتجديد في اللغة العربية ، واسماء الاعلام العربية واللغة العربية والبحوث الاقتصادية ، وحروف عربية جديدة ، وخصص القسم الثاني لنشر « المقولات العشر » للعلامة الشيخ محمد الحسني البليدي وهو مخطوط نادر بخط المؤلف نفسه ، ثم لألفاظ الحضارة لعام 1971 وعدة دراسات اخرى .

هذه عينة واحدة من الاعمال الجبارة التي قام بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي واعتقد ، بل اجزم اطلاقا ، ان كل من يشك الى الآن في امكانية التعريب في هذا العصر سيلقي عنه الشك بعيدا ـ ان لم يكن متعصبا حتى للخطأ ـ بعد مجرد تصفح مجلة « اللسان العربي » واعتقد بل اجزم ان مصلحة الغابات مثلا او مصالح الطيران المدني او بعض اصناف الاطباء يمكنهم بعد دراسة المجلد التاسع فقط دراسة جدية ان ينطقوا بكل ما في ادمغتهم من علم ومعرفة بلغة امهم وابيهم قبل اية لغة اجنبية .

لكن ! .. نعم هناك لكن ! وجدت داخل المجلة ورقة صغيرة كتب عليها ما يلي :

« لقد تكاثرت الطلبات الواردة يوميا على المكتب من الوطن العربي وغيره، من اجل الحصول على ما يصدره ويوزعه من مطبوعات ولا سيما مجلة « اللسان العربي » فبلغت هذه الطلبات حدا جعل المسؤولين عن المكتب لا يستطيعون التلبية ولا رد الجواب نظرا للامكانيات المادية المحدودة .

فمعذرة لمراسلينا وقرائنا الافاضل » .

وفي الجانب الداخلي من غلاف المجلة قرات :

« طبع من هذا العدد سبعة الاف نسخة وزعت مجانا وتحت ذلك « البيع ممنوع » .

واتساءل ما هو وزن 7 الاف عربي ـ كلهم بدون شك مؤمنون بقضية التعريب ـ اليس من الاكيد ان يطلع جميع الناس على المراحل الشاسعة التي قطعتها قضية التعريب على يد نخبة من العلماء العرب ... في طريق التقدم .. العربي !

ليس الشر في الشر فقط .. وانما هو ايضا في الامساك عن عمل الخير ، ومن الجرم ان نشجع بصمتنا الضالين على مواصلة السير في طريق الضلال .

انا لم افهم ولن افهم عبارة « الامكانيات المحدودة» الواردة في مذكرة المجلة ، الامكانيات تصبح غير محدودة في نظري لما يتعلق الامر بقضية مصير امة كاملة تطمح للحضارة .

وان كانت امكانيات الدول العربية كلها لا تساعد الا على طبع 7 الاف نسخة من مجلة « اللسان العربي » فاني متيقن من ان امكانيات الافراد « المحدودة » ـ امكانيات محبي العربية ـ ستصبح غير محدودة ان سمح لهم المكتب الدائم بالمساهمة في عمله الجليل بدفع ثمن يغطي تكاليفه عن كل مجلة يصدرها ، ربما هذه الامكانيات متوقفة ايضا على قرار الدول الاعضاء في الجامعة العربية ..

لكن ، ان رفضت هذا وذاك ، ان رفضت وضع لا امكانيات الكافية تحت طلب المكتب ، ورفضت في نفس الوقت السماح له ببيع منشوراته لتغطية التكاليف لا للمتاجرة .. فهذا ربما يعني الشيء الكثير .. الذي نمتنع عن فهمه .

كل هذه افتراضات وتساؤلات ونامل ان نتصل قريبا بتوضيح حول سبب هذا « التواضع » المدهش من المكتب الدائم .

اختم هذا المقال بالتنويه بمجهودات المكتب ومسؤوليه وكافة الخبراء المساهمين في اعماله .. لكن يبدو لي ان اصدق شكر في هذا العصر الذي كثرت فيه عبارات الشكر ونفذت هو الامساك عن الشكر ... وترك العاملين يعملون !